

دلائل الإعجاز

(إن ° تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ ... تَنْدَسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جِبْهَةَ الْأَسَدِ) .
فَقَوْلُهُ : " لَا تَرَى " : فِي مَوْضِعٍ حَالٍ . وَمِثْلُهُ فِي اللَّطْفِ وَالْحُسْنِ قَوْلُ أَعْشَى هَمْدَانَ
وَصَحْبِ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ إِلَى أَصْبَهَانَ فَلَمْ يَحْمَدْهُ فَقَالَ - الْوَافِرُ - :
(أَتَيْنَا أَصْهَبِيَّ هَانًا فَهَزَلْتَنَا ... وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ) .
(وَكَانَ سَفَاهَةً مِّنِّي وَجَهْلًا ... مَسِيرِي لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ) .
قَوْلُهُ : لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ . حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الَّذِي هُوَ الْيَاءُ فِي " مَسِيرِي " وَهُوَ فَاعِلٌ فِي الْمَعْنَى . فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَكَانَ سَفَاهَةً مِّنِّي وَجَهْلًا أَنْ سِرْتُ غَيْرَ سَائِرٍ إِلَى حَمِيمٍ وَأَنْ ذَهَبْتُ غَيْرَ مُتَوَجِّهٍ إِلَى قَرِيبٍ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ - الْكَامِلُ - :
(لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَارَوْا تِيفَاعَ قَبِيلَةٍ ... دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلَتْهَا لَا أُحْجَبُ) .
وَهُوَ كَثِيرٌ إِلَّا أَنْزَّهُ لَا يَهْتَدِي إِلَى وَضْعِهِ بِالْمَوْضِعِ الْمَرْضِيِّ إِلَّا مَنْ كَانَ صَحِيحَ الطَّبَّاعِ .
وَمَا يَجِيءُ بِالْوَاوِ وَغَيْرِ الْوَاوِ الْمَاضِي وَهُوَ لَا يَقَعُ حَالًا إِلَّا مَعَ " قَدْ " مُطَهَّرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً . أَمَّا مَجِيئُهَا بِالْوَاوِ فَالْكَثِيرُ الشَّائِعُ كَقَوْلِكَ : " أَتَانِي وَقَدْ جَهَدَهُ السَّيْرُ " . وَأَمَّا بِغَيْرِ الْوَاوِ فَكَقَوْلِهِ - الْبَسِيطُ - :
(مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتَ مَخَايِلُهُ ... وَاللَّيْلَ قَدْ مَزَّتْ)
عَنْهُ السَّرَابِيلُ)